﴿ذلك الكتاب﴾[1]، الكتاب جمع الحروف، فمعنى كَتْبُ الكتاب: جمع حروفه، ومنه كَتْبُ الخرز ومنه كتبتُ البغلة: أي جمعت بين شفريها بحلقة»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿لا ريب فيه هدًى للمتقين﴾ يقول ابن قتيبة:

«﴿لا ريب فيه﴾، أي لا شك فيه.

﴿هدًى للمتقين﴾ أي رشد لهم إلى الحق. ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾[3] أي يصدقون بأخبار الله، فأصل الإيمان التصديق. قال الله سبحانه ﴿وما أنت بمؤمنٍ لنا ولو كنّا صادقين﴾[4]، ويقال: ما أومن بشيء مما تقول، أي ما أصدق بذلك.

فإيمان العبد تصديقه قولاً وعقدًا وعملاً، وقد سمى الله عز وجل الصلاة في كتابه إيمانًا فقال: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾[5]، أي صلاتكم إلى بيت المقدس.

فالعبد مؤمن أي مصدق محقق، والله مؤمنٌ أي مصدق ما وعده ومحققه، أو قابل إيمانه. وقد يكون المؤمن من الأمان، أي لا يأمن إلاّ من أمَّنه الله»[6].

فتداعت السياقات المترابطة في عقل ابن قتيبة، وتجمعت لتتشكل منها مفاهيم ودلالات لا تؤخذ من الكلمة المجردة.

أما المعرب وما جاء على غير لغة الحجاز، فهما بحثان لغويان نشآ ككثير من العلوم في أثناء محاولات الأوائل تفسير النص، ثم تتبع خصائصه وظواهره المختلفة، ثم تضخمت مادتهما، وتشعب البحث فيهما فانفصلا عن التفسير.

ويكتنفهما بحثا البنية والدلالة، بغية تمحيص ألفاظ القرآن، ورصد ما جاء على لهجة قريش وما جاء على غيرها، ومعنى كل من ذلك. وقد صاحبت هذه البحوث محاولات لتمييز اختلافات صوتية بين ما هو عربي أصلاً وما هو معرب وغير ذلك من عناصر البحث اللغوي.

ولم يكن البحث اللغوي مقصودًا لذاته، بل كان أداة لبلوغ درجة أعلى في فهم النص القرآني وسرِّ لغته الخاصة.

---

(١) البقرة: ٢.

(٢) انظر: ابن مطرف الكناني، القرطين (وهو جمع لكتابي ابن قتيبة: غريب القرآن و مشكل القرآن) ج١، ص٤، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٥٥هـ.

(٣) البقرة: ٣.

(٤) يوسف: ١٧.

(٥) البقرة: ١٤٣.

(٦) المرجع نفسه ص١١ و ١٢